

تأثير متغير الطاقة في توجيه السياسة الخارجية الروسية (2000-2020م)

The impact of the energy variable on guiding Russian foreign policy (2000-2020)

طالب دكتوراه. عبد الكريم طيباوي، كلية العلوم السياسية و العلاقات الدولية جامعة الجزائر 3 taibaoui.abdelkarim@univ-alger3.dz

الدكتور. سليمان أعراج، كلية العلوم السياسية و العلاقات الدولية جامعة الجزائر 3 slimane.salama@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/06/25 تاريخ القبول: 2021/10/05 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص: تكشف هذه الدراسة سعي صانع القرار الروسي لمحاولة إعادة بعث أجماع و هبة الاتحاد السوفياتي "سابقا" بالاعتماد على العامل الاقتصادي الذي كان السبب الرئيسي في سقوطه، حيث وظفت روسيا سلاح الطاقة من غاز و نفط لتسييس بعض قضاياها المهمة وتقوية مواقفها على المستوى الخارجي و الحفاظ على ما تبقى لها من مناطق نفوذ ، وهو مصدر قوة استخدمته روسيا لمكافأة أصدقائها ومعاقبة أعدائها، حيث تسعى روسيا بكل ما تملك من قدرات في سبيل المحافظة على مصادر الغاز و النفط خاصة ما تعلق بالإمدادات الطاقوية أي أمن العرض الروسي إلى دول أوروبا أو إلى دول أخرى تعتبرها زبون و حليف استراتيجي و تقليدي كالصين مثلاً، وهذا طبعاً من دون خسارة الأطراف المتعانة الأخرى كالدول المصدرة للطاقة.

الملاحظ من خلال التدخل العسكري الروسي في شبه جزيرة القرم و في الأزمة السورية أن هناك دوافعاً جيوسياسية لروسيا في المنطقة و أنها مستعدة لخوض حروب بعيدة المدى دون التنازل عن ما تبقى لها من مصالح طاقوية و مواقع إستراتيجية في المنطقة، فهي تسعى بكل الطرق من أجل الخروج من الطوق المضروب عليها بهدف محاصرتها وعزلها دبلوماسياً وإفكائها اقتصادياً وعسكرياً، و من المرجح أن تكتسب روسيا المزيد من القوة و النفوذ مع ندرة النفط والغاز مستقبلاً.

الكلمات المفتاحية: روسيا - الطاقة - الغاز الطبيعي - النفط - السياسة الخارجية - الأزمة السورية - شبه جزيرة القرم - الإمدادات الطاقوية.

Abstract:

This study reveals the efforts of the Russian decision-maker to try to revive the glories and prestige of the former Soviet Union by relying on the economic factor that was the main reason for its downfall, as Russia employed the energy weapon of gas and oil to politicize some of its important issues and strengthen its positions on the external level and preserve what remained her spheres of influence, It is a source of power that Russia used to reward its friends and punish its enemies, as Russia seeks with all its capabilities in order to preserve gas and oil sources, especially with regard to energy supplies, that is, the security of Russian supply to European countries or to other countries that it considers a customer and a strategic and traditional ally such as China For example, this is, of course, without losing other cooperating parties, such as energy exporting countries.

It is noticeable through the Russian military intervention in the Crimea and in the Syrian crisis that there are geostrategic motives for Russia in the region and that it is ready to fight long-term wars without compromising its remaining energy interests and strategic positions in the region. From the siege imposed on it with the aim of besieging and isolating it diplomatically and exhausting it economically and militarily, it is likely that Russia will gain more power and influence with the scarcity of oil and gas in the future.

Keywords: Russia ;Energy ; Natural gas-oil ; Foreign policy ;Syrian crisis ; Crimea ; Energy supplies.

* عبد الكريم طيباوي

1. مقدمة:

تعتبر روسيا وريثة الاتحاد السوفياتي "سابقا"، والتي كانت تشكل أحد ركني القطبية الدولية مع الولايات المتحدة الأمريكية قبل أن تنهار بنية هذا النسق الدولي مع نهاية الثمانينات من القرن الماضي و تحول إلى شكله أحادي القطبية . لقد ورثت روسيا أكثر من ثمانين بالمائة من ثروات و مقومات الإتحاد السوفياتي بما في ذلك القوة العسكرية و النووية و مقعد دائم في مجلس الأمن، و ثروات طبيعية هائلة من نفط و غاز.

كما أدركت روسيا أن تأثيرها على الساحة العالمية يتناسب مع ما تملكه من عناصر القوة المادية، و هي بحاجة أكثر لتوسيع نطاق سياستها الخارجية، و توطيد علاقاتها الدولية، انطلاقا مما تملكه مصالحتها القومية، وبالتالي زيادة قدرتها على التأثير في النسق الدولي. من هنا يمثل متغير الطاقة أداة محورية لفهم أبعاد السياسة الخارجية الروسية وأهدافها و تفكيك تلك العلاقة التفاعلية بين مخرجات السياسة الخارجية من استراتيجيات، مواقف وقرارات من جهة، وتأثير المتغيرات التفسيرية المختلفة على هذه المخرجات من جهة ثانية.

يعتبر عنصر الطاقة من أهم العناصر الموجهة للسياسة الخارجية الروسية لما له من أهمية و ذلك لما تدره على الدولة ككل من احتياطات مالية ضخمة، و كذلك لما له من تأثير و ارتباطات جيوسياسية على الدول المستوردة له، ففوة تأثير الطاقة ترتبط باستغلال الدولة للمزايا و التكنولوجيا التي تمتلكها في إنتاجها لها لتقوية وتعزيز مصالحها الإقليمية و الدولية و تقويض دور منافسيها. مما تقدم نطرح الإشكالية التالية: ما مدى تأثير متغير الطاقة على توجهات السياسة الخارجية الروسية في ظل التحولات الإقليمية و الدولية ؟.

وينبثق عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية منها:

- ما هو مفهوم الطاقة في السياسة الخارجية؟

- ما هي أهم المحددات الأساسية للسياسة الخارجية الروسية؟

- ما هي علاقات روسيا الطاقوية؟

تكملة لما سبق طرحه من إشكالية و تساؤلات فرعية يتوجب علينا اختبار صدق الفرضيات التالية:

محدد الطاقة من أهم المحددات المتحركة في توجيه السياسة الخارجية الروسية.

تساهم الطاقة في ازدياد النفوذ الاستراتيجي لروسيا على الساحة الدولية .

ترتبط روسيا بعلاقات طاقوية متأرجحة بين التعاون أحيانا و التنافس و الصراع في أحيان أخرى.

تكمن أهمية هذه الدراسة من خلال الأحداث الدولية في السنوات الأخيرة و التي كثرت فيها الصراعات الدولية على منابع النفط و الغاز ، وكانت عاملا مهما للتقارب أو النزاع بين مختلف الدول إقليميا ، فالطاقة هي أداة مهمة في رسم السياسة الخارجية للدول المنتجة، مما جعل لتناول هذا الموضوع أهمية من اجل توضيح الدور الذي تلعبه الطاقة في توجيه السياسة الخارجية الروسية و ارتباطاتها بتوجهات صانع القرار الروسي.

تعود أسباب اختيار الموضوع لأهمية متغير الطاقة كونه أداة تأثير هامة في توجهات السياسة الخارجية خاصة للدول المنتجة له، و تحاول الدراسة أيضا فهم تصورات صانع القرار الروسي في صياغة القرارات التي تخص البيئة الإستراتيجية على مستوى السياسة الخارجية.

و اخترنا الفترة الزمنية الممتدة بين (2000م-2020م) تزامنا مع ممارسة فلاديمير بوتين السلطة سواء بصفته رئيسا للحكومة أو للدولة بداية من سنة 2000م، من اجل دراسة كل ما تقدم به ارتأينا الاعتماد في ذلك على ما يلي:

2. مفهوم الطاقة في السياسة الخارجية

1.2 السياسة الخارجية:

تتسم الظاهرة السياسية عموما بالتعقيد و التشابك إضافة إلى المستجدات و التطورات التي تطرأ عليها من حين لآخر، و ما يميز السياسة الخارجية هو الطبيعة الدينامكية والتفاعلات الدولية والى انعكاسات ظهور قوى جديدة في السياسة الدولية، ثم واقع اختلاف السياسة الخارجية من دولة إلى أخرى، و هو ما صعب من تحديد و ضبط تعريف شامل و دقيق لمفهوم السياسة الخارجية.

إن محاولة إيجاد و استخلاص تعريف عام للسياسة الخارجية هو أمر صعب للغاية حيث أن كل منظر من المنظرين اعتمد و طرح تعريفه للسياسة الخارجية من خلال بُعد أو مُتغير معين يعكس نظريته لهذا المفهوم غير أننا سوف نقتصر على أهمها. يعرفها كريستوفر هيل Christopher Hill بأنها: "مجموع العلاقات الرسمية الخارجية التي يقودها وينظمها فاعل مستقل(غالبا الدولة) في العلاقات الدولية."¹

ركز هذا التعريف على استقلالية الفاعل و رسمية القرارات وطبيعتها الخارجية و ذلك في تعاملاتها مع الدول الأجنبية. و يعرف ايفانس G.Evans و جيفري نيونان G.Newnhan السياسة الخارجية على أنها: "ذلك النشاط المتمثل في أفعال وردود أفعال وتفاعل الدول و الفواعل."²

و يعرف جورج مودلسكي G.Modelsكي السياسة الخارجية بأنها: " نظام الأنشطة الذي تطوره المجتمعات لتغيير سلوكيات الدول الأخرى و لأقلمة نشاطاتها طبقا للبيئة الدولية: المدخلات و المخرجات."³

ينظر هذا التعريف إلى السياسة الخارجية باعتبارها عملية تحويل المدخلات إلى أنشطة تتأقلم و مستجدات البيئة الخارجية لأجل تحقيق أهداف الوحدة الدولية المعبر عنها بالمخرجات، لكن لم يكن هناك تحديد للأنشطة و مكوناتها.

من خلال ما سبق من التعاريف يمكن أن نعرف السياسة الخارجية تعريفا إجرائيا: هي عبارة عن سلوك الدولة في محيطها الخارجي مع مختلف الوحدات (الفواعل) الأخرى سواء كانت دولا أو منظمات أو غيرهما بقصد تحقيق أهداف و غايات مختلفة.

-مفهوم الطاقة:

إن المفهوم العام للطاقة يتمثل في كونها المقدرة على القيام بعمل ما، فكل عمل، فكريا كان أم ماديا، يحتاج انجازه إلى كمية مناسبة من الطاقة، فالطاقة إذا هي شرط مسبق لأي نوع من الحركة أو النشاط، أما مصادرها فهي مجموعة الموارد الطبيعية، والمتمثلة أساسا في: الفحم الحجري، النفط، الغاز الطبيعي...

و تعرف بأنها عبارة عن كمية فيزيائية تظهر على شكل حرارة أو على شكل حركة ميكانيكية أو كطاقة ربط في أنوية الذرة بين البروتون و النيوترون.⁴

¹ Christopher Hill, *The Changing Politics of Foreign Policy*, London: Palgrave Macmillan, 2003, P3.

² G.Evans, G.Newnhan, *The Penguin Dictionary of International Relations*, London : Penguin Books, 1998, p179.

³ أحمد نوري النعيمي، *السياسة الخارجية*، الأردن: دار زهران للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 2011، ص 19.

و أهم عنصرين مهمين في بحثنا هذا هما النفط و الغاز كما نولي أهمية خاصة للعنصر الأخير الذي أصبح ذا أهمية استراتيجية و أداة ضغط كبيرة .

- مصادر الطاقة : يمكن تقسيم الطاقة إلى مصدرين رئيسيين هما: مصادر غير متجددة، مصادر متجددة.

2.2 مصادر الطاقة غير المتجددة :

وهي عبارة عن المصادر الناضبة أي التي ستنتهي مع الزمن لكثرة الاستخدام وهي موجودة في الطبيعة بكميات محدودة وغير متجددة وهي بالإضافة إلى ذلك ملوثة للبيئة و تشكل 86% من حاجة العالم بشكل عام من الطاقة أما النسبة الباقية فتأتي من خلال المفاعلات النووية و تقدر النسبة بـ: 7.6% والمشاريع الكهرومائية بنسبة: 6.7%.⁵ و تتكون المصادر غير المتجددة من الأنواع التالية:

- **الوقود الأحفوري:** يشمل النفط و الغاز الطبيعي و الفحم و يشمل كذلك الطاقة النووية التي تستخدم في عملية توليد الكهرباء عن طريق استخدام الحرارة الناتجة عن عمليات الانشطار النووي في المفاعلات.

- **الفحم الحجري:** فقد بدأ استخدامه في العصور الوسطى تزامنا مع اختراع المحرك البخاري في القرن الثامن والتاسع عشر، وقد كان الفحم من أهم المصادر الطبيعية للطاقة خلال القرن الماضي و مازال يستعمل في يومنا هذا و يساهم حاليا بحوالي 24% من الاستهلاك العالمي من الطاقة.⁶

- **النفط:** تاريخيا تمثل الطاقة بمفهومها التقليدي، الذي يشمل النفط، المفهوم السائد في فترة القرن التاسع عشر و ما قبلها، و يعود بدأ حفر أول بئر وجد بها النفط إلى عام 1859 م بولاية بنسلفيا في الولايات المتحدة الأمريكية من قبل إدوين داريك Edwin Drake و جورج بيسل George Bissel وفي السنة نفسها قام فرانسيس دريك Francis Derrick بحفر أول بئر للنفط في منطقة أويل كريك ببنسلفانيا.⁷

و مع نهاية القرن التاسع عشر، و اكتشاف (standard oil) البترول في حقل باكو بالأراضي الروسية من قبل شركة ستاندر أويل بزعامة روك فيلرما زاد من شراهة هذه الدول للنهب و الاستيلاء، حيث لم يستطع أحد منافستها.

و يعود سبب انتشار النفط كمصدر للطاقة إلى عدة أسباب أهمها : سهولة نقله و تحويله إلى مشتقات نفطية تتفاوت في الاستخدام و الخصائص و كذلك كثرة تواجده في دول لا تستهلك إلا القليل منه نظرا لمحدودية التنمية الصناعية لديها مما يسهل تصديره إلى الدول الصناعية التي تحتاج بكميات كبيرة، و لا يزال النفط لحد الساعة يشكل عاملا مهما سواء للدول المصدرة أو المستهلكة.

- **الغاز الطبيعي:** الغاز الطبيعي هو أحد مصادر الطاقة البديلة عن النفط من المحروقات عالية الكفاءة قليلة الكلفة قليلة الانبعاث الملوثة للبيئة فالغاز الطبيعي مورد طاقة أولية مهمة للصناعة الكيماوية.

و بحسب بعض الإحصائيات: "يقدر حجم احتياطي الغاز الطبيعي في العالم بـ 187,1 تريليون متر مكعب عام 2010م، و يسيطر الشرق الأوسط ومناطق الاتحاد السوفياتي السابق (بما في ذلك روسيا) على 72% من هذا الاحتياطي ، ووفقا للمؤشرات المثبتة عام 2010م، تحتل روسيا المرتبة الأولى على صعيد الاحتياطيات المؤكدة من الغاز الطبيعي، بواقع 44,8 تريليون متر مكعب، تليها إيران

⁴ أحمد مدحت إسلام، الطاقة و مصادرها المختلفة، الطبعة الثانية، مؤسسة الأهرام ، 1997، ص18.

⁵ أحمد مدحت إسلام، مرجع سابق ، ص43.

⁶ Defay Alexander ,la géopolitique ,Paris :PUF,2005,p43

⁷ محمد ختاوي، النفط و تأثيره في العلاقات الدولية، بيروت: دار النفائس ، 2010، ص3 .

بواقع 29,6 تريليون متر مكعب، وجاءت قطر في المرتبة الثالثة (25,3 تريليون متر مكعب)، تحتل الجزائر المرتبة التاسعة (4,5 تريليون متر مكعب).⁸

3.2 مصادر الطاقة المتجددة

الطاقة المتجددة تعني بها تلك المولدة من مصدر طبيعي مستمر لا ينضب ويحتاج فقط إلى تحويله من طاقة طبيعية إلى أخرى يسهل استخدامها بوساطة تقنيات العصر و من أهم مصادر الطاقة المتجددة الطاقة الشمسية و طاقة الرياح و طاقة المساقط المائية .

– **الطاقة النووية:** بعد الهجوم بالمتفجرات على مدينتي هيروشيما و نغازاكي و انتهاء الحرب العالمية الثانية اتضح على المستوى الدولي القدرة الهائلة للطاقة النووية.

اتجه التفكير بعد ذلك سواء في المعسكر الشرقي أو الغربي بإنشاء المفاعلات الضخمة وتطويرها لتطويع هذه الطاقة بما يسمح باستخدامها في المجالات الصناعية المدنية –المجالات السلمية– لتحسين نمط الحياة الإنسان و تدعيم السلام الدولي.

3. الطاقة و قوتها في السياسة الخارجية الروسية

1.3 محدد الطاقة كأهم الموارد الاقتصادية:

يعتبر العامل الاقتصادي من أهم العوامل التي تولي لها الدولة أهمية كبيرة كونها تساهم بشكل كبير في حرية و مجال المناورات السياسية على المستوى الخارجي، و الثروات الاقتصادية تعتبر من بين الدعائم الأساسية للسياسة الأمنية للدولة لأن الاعتماد على الآخرين يضعف مكانة الدولة و يجعلها أكثر تبعية في قراراتها السيادية الداخلية و الخارجية .

استطاع الاقتصاد الروسي بعد مراحل الإصلاحات التي مر بها خلال السنوات الماضية واعتماده قواعد اقتصاد السوق وتوفير الأراضية المناسبة لدعم متوسطي وصغار رجال الأعمال، أن يكون من بين اقتصاديات العالم جاذبية للاستثمارات المحلية و الأجنبية على السواء.⁹

تعتبر منطقة جبال الاورال الغنية بكميات هائلة من النفط والغاز الطبيعي والفحم والأخشاب من أهم مناطق احتياطات المواد الخام في روسيا، مما يجعلها في طليعة الدول الغنية في المواد الخام المختلفة.¹⁰

لقد أصبح للنفط والغاز شأن محوري في روسيا كما ظهر ارتباط وعلاقة العامل الداخلي بالخارجي في التنمية و تأثيرها في السياسة الخارجية جليا منذ تولي فلاديمير بوتين الحكم عام 2000م وانبثق هذا التطور جزئيا من التغيرات الجارية في قطاع الطاقة الروسي و بروز روسيا بوصفها أكبر منتج للغاز الطبيعي في العالم، مع إنتاج بلغ في المجموع 607,4 مليار متر مكعب سنة 2007م وثاني منتج للنفط بعد المملكة العربية السعودية بإنتاج يبلغ 8,9 مليون برميل في اليوم وعلاوة على ذلك أصبح احتياطي روسيا من النفط والغاز تحت السيطرة المباشرة للدولة¹¹ .

على الرغم من سياسة التنويع التي أطلقت في عام 2003 م ، إلا أن روسيا ما زالت تعتمد بشكل كبير على موادها الخام التي تمثل 80% من صادراتها، بعد أن أصبحت أكبر مصدر للغاز الطبيعي في العالم وثاني أكبر مصدر للنفط وهو ما يقارب 70% من

⁸ عبد الجليل زيد المرهون، الغاز الطبيعي باعتباره سلعة إستراتيجية، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2011، ص2

⁹ لمى مضر الأمارة، الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، بيروت: مركز الوحدة العربية، 2009م، ص149.

¹⁰ أحمد جهاد عبد الله، التحولات الاستراتيجية في العلاقات الأمريكية-الروسية، بيروت: دار المنهل اللبناني، 2011، ص106.

¹¹ جيفري مانكوف، "أمن الطاقة الاوراسية"، دراسات عالمية، العدد 89، 2010م، ص 15-16 .

الصادرات التي تمثل المصدر الرئيسي للدخل بالنسبة لروسيا.¹²

بعد فترة انتقالية فوضوية من التخطيط المركزي إلى اقتصاد السوق، استعادت روسيا مكانتها الاقتصادية لتصبح ضمن أكبر عشر اقتصاديات في العالم، حيث كان ازدهار الأرباح في صادرات النفط والغاز أحد السمات المميزة لانتعاش الاقتصاد الروسي.¹³ تحسنت صادرات روسيا بعد أن تم تخفيض قيمة الروبل في عام 1998م و بداية من سنة 2000م بدأت البلاد تسجل فائض تجاري إيجابي كبير. وبذلك ارتكزت سياسات موسكو الرامية إلى ترسيخ مكانتها من حيث أنها قوة عظمى، عبر استغلال موقع قوتها في عالم الطاقة على أساس صلب من حيث الموارد المتاحة لها وقدرتها التصديرية، وبذلك يكون مفهوم القوة العظمى في مجال الطاقة مزيج يجمع بين الطاقة، من حيث هي أداة تجارية، وسياسات القوة معاً، والذي قد لا يمكن فيه التمييز بين الغايات الرامية إلى جني أقصى قدر من الأرباح وبين بناء أوضاع القوة.¹⁴

2.3 محدد الطاقة في السياسة الخارجية الروسية:

يعتبر قطاع الطاقة الدعامة الأساسية لنهوض الاقتصاد الروسي من كبوته، وعليه تعقد الآمال في مزيد من النمو الاقتصادي والتطور الاجتماعي في المستقبل.

فلا مستقبل حقيقي لروسيا دون تأمين حد أدنى لأسعار النفط العالمي توفر روسيا من خلاله عوائد تكفي لتطوير باقي قطاعات الإنتاج وتحقيق التحسن المنشود في مستوى دخل المواطن الروسي والارتقاء بالخدمات المختلفة المقدمة له من صحة وتعليم ومواصلات وغيرها. وتضمن به أيضاً استقلالية قرارها الخارجي وتطوير قدراتها الدفاعية وتحقيق قدرة على التأثير وممارسة دور فاعل على الصعيدين الدولي والإقليمي.¹⁵

– الغاز و النفط:

تعد روسيا الأولى عالمياً من حيث احتياطي الغاز الطبيعي، حيث تمتلك 27.5% من الاحتياطي العالمي؛ أي ما يزيد عن ربع الاحتياطي العالمي، وتعد شركة غاز بروم Gazprom الروسية أكبر منتج للغاز الطبيعي في العالم، و تتحكم في 90% من إنتاج الغاز الروسي و أنابيب نقل الغاز، وتمتد أوروبا بربع احتياقاتها منه. أما قطاع النفط، فتمتلك روسيا سابع أكبر احتياطي في العالم، و تحتل المرتبة الثانية كأكبر منتج و مصدر للنفط في العالم، حيث تسيطر شركة "روس نفط" Rosneft على إنتاج النفط في روسيا، و تمثل صادرات النفط و الغاز نصف الصادرات الروسية و تسهم عائداتها نسبة 60% من العملة الصعبة.¹⁶

إذ تحتل روسيا المرتبة الثانية في العالم كأكبر مصدر للنفط في العالم بعد المملكة العربية السعودية (40 في المائة من الصادرات العالمية من النفط)، كما تمثل احتياطات روسيا من النفط 4.6 في المائة من الاحتياطي العالمي. أما في ما يتعلق بالغاز الطبيعي فروسيا هي أكبر دول العالم من حيث احتياطات الغاز الطبيعي بنحو 1.7 ألف تريليون قدم مكعبة أي 27.5 في المائة من الاحتياطي

¹² Bali Alicia et autres, **La Situation Economique De La Russie: Pourquoi La Russie a Telle Echoue La ou La Chine a Russie**, Mémoire d'INTELLIGENCE ECONOMIQUE, avril 2013, p 40.
http://bdc.aege.fr/public/La_situation_economique_de_la_Russie.pdf

¹³ Olga Oliker and Other, **Russian foreign policy: sources and implications**, New York :RND corporation, 2009, pp 46- 47.

¹⁴ بإفل بابيف، **القوة العسكرية وسياسة الطاقة: بوتين والبحث عن العظمة الروسية**، الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث والاستراتيجية، 2010م، ص 218، 237.

¹⁵ نورهان الشيخ، "سياسة الطاقة الروسية و تأثيرها على التوازن الاستراتيجي العالمي"، **قضايا**، العدد 56، القاهرة، أوت 2009م، ص 7.

¹⁶ أسامة مخيمر، "الطاقة والعلاقات الروسية مع آسيا"، **مجلة السياسة الدولية**، العدد 107، 2007، ص 92

العالمي. وإذا كانت روسيا من كبار الدول المنتجة لمصادر الطاقة من نفط و غاز طبيعي، فهي أيضا من كبار الدول المستهلكة لمصادر الطاقة المختلفة.¹⁷

بحسب إحصائيات لسنة 2019م الصادرة عن اتحاد الغاز العالمي توسعت تجارة الغاز بين الأقاليم بمعدل 4.9٪ ، أكثر من ضعف متوسطها لمدة 10 سنوات و شهد المعروض من الغاز الطبيعي المسال نمو بقيادة الولايات المتحدة (19 مليار متر مكعب) وروسيا (14 مليار متر مكعب) ، وتتجه معظم الإمدادات الإضافية إلى أوروبا، و ارتفعت واردات الغاز الطبيعي المسال الأوروبية (+49 مليار متر مكعب) بأكثر من الثلثين.¹⁸

و بحسب آخر الإحصائيات لسنة 2020م الصادرة عن اتحاد الغاز العالمي فإن روسيا لا تزال تصدر قائمة أكبر احتياطات الغاز الطبيعي في العالم بـ38 تريليون متر مكعب.¹⁹

وترتبط مكانة روسيا كقوة كبرى ارتباطا وثيقا بمصادر الطاقة لديها. ونتيجة لذلك قامت الدولة الروسية بالسيطرة على شركاتها الطاقوية وعلى أصول الطاقة (الاحتياطات، وخطوط الأنابيب).²⁰

من ناحية أخرى تم فصل الغاز الطبيعي عن باقي مصادر الطاقة (النفط والفحم) حيث أنشأت الحكومة شركة "غاز بروم" التي أصبحت المحتكر الأساسي لإنتاج وتسويق الغاز في روسيا وخارجها، و التي تسيطر على جميع حقول الغاز الرئيسية في روسيا. واحتلت شركة "غاز بروم" المرتبة الأولى بين كبريات شركات الطاقة في العالم طبقا لترتيب مجلة "Fortune" الأمريكية لعام 2008 م والذي اعتمد على دخول الشركات وليس أرباحها.²¹

– قوة الطاقة في السياسة الخارجية الروسية

لقد ساهمت العائدات الكبيرة من عملية تصدير الطاقة في رجوع روسيا بقوة إلى الساحة الدولية نظرا للإمكانيات الدولية التي أصبحت متوفرة لديها و بخاصة تزامنها و وصول الرئيس بوتين لقصر الكرملن و ما تبعه من زيادات في أسعار النفط بشكل كبير و متسارع فمن حوالي 16 دولار في بدايات سنة 1999م إلى أكثر من الضعف في عام 2000 م لتصل فيما بعد إلى أكثر من 100 دولار وهو ما ساهم في تحسين و إنعاش الوضعية الاقتصادية الروسية .

يشير جيرونيوم بيروفيتش Jeronim Perovic، إلى أن روسيا برزت لاعبا عالميا أساسيا في أسواق الطاقة نظرا لموقعها بوصفها منتجا رئيسيا للنفط والغاز خاصة بالنسبة إلى أوروبا، وباعتبارها استفادت من هذا الموقع داخليا ودوليا، فداخليا استطاعت روسيا أن تتعافى بسرعة من آثار الأزمة المالية في عام 1998م بفضل دخول تصدير الطاقة التي بدأت ترتفع بطريقة ملحوظة ابتداء من عام 2000م مع ارتفاع أسعار النفط حتى وصلت إلى نحو 150 دولار للبرميل، في جويلية 2004م أما خارجيا، فقد ساهمت الدخول المعتبرة من عملية تصدير الطاقة في رجوع روسيا بقوة إلى الساحة الدولية نظرا للإمكانيات المالية التي أصبحت متوفرة لديها، والجدير بالذكر أن هذه الوفرة المالية ناجمة عن ارتفاع في أسعار الطاقة، وليس عن زيادة في قدرات الإنتاج.²²

¹⁷ خديجة عرفة محمد، "أمن الطاقة و وطنية الطاقة... بين المقاربتين الروسية و الأمريكية"، أراء، العدد 47، 2008، ص 115.

¹⁸ BP, Statistical Review of World Energy 2019, June 2019.

¹⁹ BP, Statistical Review of World Energy 2020, June 2020.

²⁰ Andreas Wenger, Jeronim Perovic, and others, Russian Business Power: The Role of Russian Business in Foreign and Security Relations, New York : Routledge, 2006, p19.

²¹ نورهان الشيخ، سياسة الطاقة الروسية وتأثيرها على التوازن الاستراتيجي العالمي، مرجع سابق ، ص 8.

²² زهير حامدي، "عرض كتاب الطاقة وقوتها في السياسة الخارجية الروسية: الآثار المحتملة للصراع والتعاون"، سياسات عربية ،

العدد 03، 2013م، ص 171

تسعى روسيا باهتمام كبير جدا إلى إعطاء بعد استراتيجي لقطاع الطاقة ليس من الجانب الاقتصادي فحسب بل استخدامه كأداة ضغط من أجل ممارسة نفوذها في مجال سياستها الخارجية و بما يتناسب مع تحقيق مصالحها .

و وفقا للإستراتيجية الروسية يقتصر دور الشركات الدولية على توفير التكنولوجيا و رأس المال بما يساعد الدولة على تعظيم مكاسبها من احتياطاتها من النفط و الغاز الطبيعي، بحيث يصبح القرار بيد الدولة بشأن كيف يتم تطوير الاحتياطيات و لمن يتم بيع الإنتاج، و يتضح هذا الأمر بالنظر إلى القرار الروسي في أوائل عام 2006م بوقف ضخ الغاز الطبيعي عن أوكرانيا.²³

يمكن الإشارة هنا إلى استعمال الغاز الطبيعي كفضاعة في وجه أوكرانيا فقد تكرر قطعه مرات عديدة عام 2014م بعد تصاعد النزاع بين الحكومة في كييف والمتمردين المواليين لروسيا في شرقي أوكرانيا، فهي تارة تضغط باستخدام ورقة ديون شركة غاز بروم الروسية و التي لم يتم تسديدها من الجانب الأوكراني و تارة أخرى تستخدم الضغط من الشق السياسي لليدها .

هذا ويسعى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أن يجعل من روسيا "المحرك العالمي للطاقة، هناك مشروع كبير يركز عليه حاليا الرئيس بوتين وهو تنمية تبعية أوروبا لمصادر الطاقة الروسية فالاتحاد الأوروبي يستورد حوالي 49% من غاز روسيا وسيكون تابعا لروسيا بـ 81% من وارداته الغازية بحدود 2030م.²⁴

4. علاقات روسيا الطاقوية

سننتظر إلى علاقات روسيا الطاقوية مع الدول المستهلكة و تشمل أوروبا و الصين و الولايات المتحدة الأمريكية ثم علاقاتها مع الدول المصدرة للنفط أوبك و أوبك الغاز .

1.4 العلاقة مع الدول المستهلكة

– العلاقة مع أوروبا و الصين

– العلاقات مع أوروبا

إن منطق الشراكة بين الاتحاد الأوروبي وروسيا مبني على منطق اقتصادي بحت، وتمثل روسيا محورا مهما في علاقاتها مع دول الاتحاد الأوروبي، بحيث تشتري هذه الدول من روسيا الغاز الطبيعي منذ منتصف السبعينيات وصلت إمدادات الغاز الطبيعي الروسي لأوروبا وتركيا إلى أعلى مستوياتها في عام 2018م، و بلغت صادرات الغاز الروسي إلى أوروبا في العام 2017م 200 مليار متر مكعب، وتبلغ نسبة الغاز الروسي في الاستهلاك الأوروبي من الغاز الطبيعي 37 في المائة الآن، و يتوقع أن تزداد واردات أوروبا من الغاز الروس، و تقدر حاجة أوروبا إلى الغاز خلال عام 2019م بما يزيد على حاجتها في العام الماضي بـ 5 مليارات متر مكعب.²⁵

تعززت العلاقات الاقتصادية الأوروبية الروسية بشكل كبير خاصة في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي وشملت مجالات التعاون مناحي عدة، ولكن كان أهمها ولا يزال مجال الطاقة والمتمثلة بصفة أساسية في إمدادات الغاز الطبيعي الروسي إلى أوروبا، حيث تستورد دول الاتحاد الأوروبي ما يعادل 70% من إمدادات الغاز من روسيا و 31% من النفط و 30% من الفحم.²⁶

تستهلك أوروبا حوالي 550 بليون متر مكعب من الغاز الطبيعي سنويا تستورد منها حوالي 160 بليون متر مكعب من روسيا وتستورد من النرويج حوالي 110 بلايين متر مكعب والجزائر حوالي 33 بليون متر مكعب عبر أنابيب تحت البحر المتوسط.

²³ خديجة عرفة محمد، "أمن الطاقة و وطنية الطاقة... بين المقاربتين الروسية و الأمريكية"، آراء، العدد 47، 2008م، ص 111.

²⁴ «Service international: la ruée vers l'or noir», le monde, N°347, Novembre 2005, page 6.

²⁵ تقرير ملف النفط و الغاز لعام 2019 بتاريخ 2019/01/26 الموقع الإلكتروني

201901261038548182 <https://arabic.sputniknews.com/russia/>

²⁶ الموقع الإلكتروني للمركز العربي للدراسات و البحوث <http://www.acrseg.org> ، تاريخ الاطلاع 2021/05/05.

وتستهلك أوروبا أكثر من 40 بليون متر مكعب كغاز مسال وهو ما يعادل 52 بليون متر مكعب من الغاز الطبيعي سنوياً، وهذا يعني أن أوروبا تعتمد على روسيا بشكل رئيس في إمدادات الغاز وهو ما أزعج المسؤولين بالاتحاد الأوروبي بسبب احتكار روسيا لجانب كبير من طاقتهم²⁷.

كما سعت فرنسا وألمانيا من خلال التنسيق في إطار ثنائي و أوروبي على تكثيف التعامل بين روسيا و الاتحاد الأوروبي، لتصبح روسيا الشريك التجاري الثالث للاتحاد الأوروبي بعد الولايات المتحدة الأمريكية والصين، بحيث في الفترة الممتدة من 1999م إلى 2005م فإن الطاقة أصبحت تمثل ثلثي الواردات الأوروبية من روسيا، وبالتالي فإن هذه الأخيرة هي أول مزود للاتحاد الأوروبي بالحرقات، في هذا المجال هناك دول أعضاء في الاتحاد الأوروبي، البعض منها في تبعية شبه مطلقة والبعض الآخر في تبعية مطلقة للمحروقات الروسية، لاسيما الغاز مع شركة غازبروم، فمثلاً: تستورد ألمانيا 44.9 %، بولونيا 50.2 %، المجر 63.4 %، النمسا 73.4 % جمهورية التشيك 80.8 % اليونان 86.8 %، فنلندا وسلوفاكيا 100.0 %²⁸.

تبرز آفاق التعاون الروسي في مجال الغاز الطبيعي مع الدول الأوروبية على المديين المتوسط والطويل حيث ارتكزت الإستراتيجية الروسية لأمن الطاقة على سيطرة الدولة و الشركات الحكومية بالإضافة إلى السيطرة على خطوط الأنابيب الممتدة عبر أراضيها و أراضي جيرانها فهناك شبكة واسعة من خطوط الأنابيب (الغاز والنفط) ممتدة من الأراضي الروسية إلى دول أوروبا (أوكرانيا، روسيا البيضاء، بولندا، ألمانيا، ليتوانيا، استونيا، جمهورية التشيك، المجر، النمسا اليونان، هنغاريا وبلغاريا) و الملاحظ أن دول أوروبا الشرقية تعتمد على مصادر الطاقة الروسية أكثر من دول أوروبا الغربية، وفي إطار هذه العلاقة تسعى روسيا إلى المحافظة على السوق الأوروبية و ذلك بربطها بعقود طويلة الأجل فقد أبرمت شركة الطاقة العملاقة الروسية «غاز بروم» عقوداً طويلة الأجل مع معظم الدول الأوروبية و ذلك لضمان مداخل مالية و محاولة تنسيق سياساتها الخارجية معها في إطار المصالح المشتركة و كذا قطع الطريق عليها لاعتماد مصادر أخرى للطاقة.

و يستحوذ موضوع أمن الطاقة على الشطر الأكبر من المناقشات التي تجمع الطرف الروسي و الطرف الأوروبي، فالأوروبيون يريدون تأمين إمدادات الغاز الطبيعي الروسي بصورة مستمرة، فبين حين وآخر تهدد روسيا بتحويل تدفق الغاز إلى الصين واليابان شرقاً، أو بوقف تدفق الغاز عن أوروبا مما يعني نوعاً من ممارسة النفوذ وعرض العضلات السياسية والاقتصادية وإظهار أهميتها العالمية كمزود للغاز مما سبب ذلك قلقاً لدى الدول الأوروبية، فروسيا ترفض العلاقات الأوروبية مع عدد من الجمهوريات المستقلة عنها والتي تقع في الحيز الجيوسياسي الروسي، أي علاقات أوروبية خاصة مع أوكرانيا بدون الرجوع و التنسيق مع روسيا فهي تراها محاصرة لها ، باختصار ترفض القيادة الروسية المبادرات التي تسعى إليها أوروبا للتعاون مع الجمهوريات السوفياتية السابقة، وتجاهها موجهة ضد النفوذ الروسي، هذا بالإضافة إلى تداعيات أخرى كالتوسع الأطلسي نحو شرق أوروبا، والذي يقرأ بالنسبة لموسكو على أنه تهديداً استراتيجياً لها.

بالرغم من قوة الاتحاد الأوروبي إلا أن أبرز نقاط ضعفه هو اعتماده في جانب كبير على الطاقة الروسية و التي تعتبر من جهة أخرى نقطة قوة مهمة صالح الجانب الروسي في مختلف المفاوضات و القضايا السياسية خاصة ما يمس مناطق نفوذه السابقة و مصالحه

²⁷ الموقع الإلكتروني (جريدة اليوم السعودية) <http://www.alyaum.com/article/4128321>، تاريخ الاطلاع 2021/05/06م.

²⁸ هنري كيسنجر، هل تحتاج امريكا الى سياسة خارجية ؟ : نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين (ترجمة: عمراياوي)، بيروت: دار الكتاب العربي، 2003، ص 32

الحيوية في جواره مثل اجتياحه لشبه جزيرة القرم و احتلالها فأوكرانيا تمثل أهمية سياسية بالغة لروسيا ، حيث إن 49% من صادرات الغاز الروسية إلى أوروبا تمر عبر أوكرانيا، و كذلك من اجل تعزيز من حضور أسطولها في البحرين الأسود والمتوسط. كل هذه الأمور جعلت من أوكرانيا "الحديقة الخلفية" بالنسبة لموسكو التي ترفض التخلي عنها والتنازل عنها و تحويلها إلى "وصاية الغرب" ، فالرئيس الروسي فلاديمير بوتين وجه رسالة يحذر فيها القادة الأوروبيين بأن موسكو يمكن أن تلجأ إلى طريقة جديدة في حسابات الغاز مع أوكرانيا، وهي قاعدة الدفع المسبق، محذرا من أخطار تعدد عبور الغاز الطبيعي المتوجه إلى أوروبا عبر أوكرانيا. و كذا ما حصل في الأزمة السورية و تدخل روسيا عسكريا و كذا دوليا من خلال هيئة الأمم المتحدة تأييدا للنظام السوري الخادم للمصالح الروسية، و ذلك بتحييد الدور الأوروبي.

للإشارة تشكل تركيا حاجز ضد أي تحرك روسي محتمل باتجاه المياه الدافئة أو النفط و الغاز أو أي هدف آخر بري كان أو بحري مثل منطقة الخليج العربي، فتركيا تشكل تهديدا حقيقيا لروسيا في ما وراء القوقاز و آسيا الوسطى فأى دور تركي جديد في المنطقة يؤثر بصفة مباشرة على المصالح الحيوية لروسيا.

نلاحظ ذلك جليا بتواجد تركيا في لعبة صراع الغاز بينها و بين روسيا من خلال الأزمة السورية و الصراع في ليبيا و في أزمة ناكورنو كاراباخ و ذلك كله تحت طائلة حسابات استراتيجية بين البلدين لصراع مناطق الطاقة .

فروسيا تعتبر سوريا حليفا استراتيجيا مهما و ممرا مهما لمد أنابيب الغاز إلى أوروبا أما بالنسبة إلى ليبيا فان روسيا تطمح في الحصول على عقود الطاقة السخية هناك التي توجد بها أكبر احتياطات النفط في أفريقيا و كذا أهداف استراتيجية مرتبطة باحتكار و ضرب أي مشروع كبير لنقل الغاز إلى أوروبا قصد بقاء هاته الاخيرة رهينة لامدادات الغاز الروسي بينما تمثل منطقة جنوب القوقاز (أرمينيا، أذربيجان ، جورجيا) عمقا استراتيجيا لا يمكن بأي حال من الأحوال التفريط بأمنها و استقرارها و هذه المنطقة هي منطقة خطوط مرور للغاز الطبيعي و تشكل أيضا أحواضا مهمة للغاز الطبيعي. يتراجع بشدة مشروع أوروبا الطموح لمد خط أنابيب لنقل الغاز من بحر قزوين للحد من اعتماد بلدانها الشرقية على روسيا أمام مشروع روسي أكبر. وفي الوقت الذي توشك فيه أذربيجان على اتخاذ قرار بشأن اختيار أحد الخطتين لتتقل عبره صادراتها المستقبلية فإن مشروع نابوكو الذي لطالما كان الاختيار المفضل لأوروبا قد يتراجع أمام مشروع خط أنابيب الادرياتيكي (تاب) الأكثر تواضعا الذي يمر عبر اليونان إلى جنوب إيطاليا، وفي معادلة معقدة تعتمد على السياسة بقدر اعتمادها على الاقتصاد يتقدم مشروع تاب على نابوكو الذي يمتد إلى النمسا في منافسة مشروع ساوث ستريم الروسي الذي يتكلف 39 مليار دولار.²⁹

فروسيا ترتبط بعدة مشاريع كبرى لإمدادات الغاز الطبيعي لأوروبا لكن أهم نقاط الخلاف و العقبات التي قد تصادف أي مشروع هو الخط الذي سيمر منه فروسيا تريد خطوط للإمداد تحت سيطرتها و مجالها الجيوسياسي و على العكس فأوروبا تبحث عن إمدادات طاغوية آمنة مستقبلا في حال نشوب أي صراع أو أزمات قصد تحييد هذا الجانب.

فالسيل الشمالي (نورث ستريم) يوصل الغاز من شمال روسيا إلى ألمانيا عبر البحر دون المرور ببيلا روسيا أما السيل الجنوبي (ساوث ستريم) فيعبر عبر البحر الأسود إلى بلغاريا و منها يتوزع خط عبر رومانيا هنغاريا النمسا، و جنوبا عبر اليونان إيطاليا، وسيشق مشروع ساوث ستريم الذي تقوده شركة غازبروم البحر الأسود وسيتبع بعد ذلك خط نابكو ويست.

فروسيا لم تفسح المجال أمام عبور غاز آسيا الوسطى إلى أوروبا عبر أراضيها دون أن تكون شريكا فيه، وذلك رغم كل شعاراتها الخاصة بعلاقات التكامل مع هذه الدول، و هذا كله طبعا خدمة لمصالحها الجيوسياسية.

²⁹الموقع الإلكتروني وكالة الانباء العالمية رويترز Reuters <https://www.reuters.com/article/oegbs-europe-gas-mn4-idARACAE9B2MSA20130528>، تاريخ الاطلاع 2021/05/03م.

-العلاقات مع الصين:

عرفت العلاقات الروسية-الصينية تطوراً كبيراً خاصة من الناحية الدبلوماسية والاقتصادية و تعاوناً جيوسياسياً و ذلك خدمة لصالح البلدين في مواجهة الزحف الأمريكي على منابع الطاقة في آسيا.

بدأت روسيا تحتل أهمية كبيرة في السياسة الخارجية للصين بعد وصول شي جينبينغ إلى سدة الرئاسة، وتأني صفقة الغاز الضخمة الموقعة في منتصف عام 2014م بين روسيا والصين بوصفها صفقة غاز تاريخية، بلغت قيمتها حوالي 400 مليار دولار، تزود روسيا بموجبها الصين بـ38 مليار متر مكعب من الغاز سنوياً لمدة ثلاثين سنة، وذلك عبر الأنابيب انطلاقاً من الشرق الأقصى الروسي بحلول سنة 2018م، واستغرق العمل لإبرام هذه الصفقة عدة سنوات من التفاوض، تعثرت مرات عديدة بسبب فشل الدولتين في التوصل لثمن يُرضيهما معاً، قبل أن يصل البلدان إلى هذا الاتفاق التاريخي استجابة لحاجات الصين المتزايدة للغاز المستورد، وكجزء من سياسة صينية لثمتين علاقتها بموسكو في مواجهة التوجه الأمريكي نحو آسيا بغية احتواء الصين، وهناك شكوك في أن تصبح العلاقة الصينية الروسية إستراتيجية بسبب تناقض مصالحهما في منطقة آسيا الوسطى، وكذلك في العلاقة مع الهند، ولكن هناك نمواً في علاقة البلدين، سواء في مجال التعاون الاقتصادي والعسكري، أو في رؤية البلدين لمصالحهما الإستراتيجية، لاسيما تلك التي تتصل بمواجهة النفوذ الأمريكي في العالم، فالبلدان -على سبيل المثال- يُعارضان سياسات تغيير الأنظمة التي تنتهجها واشنطن، ويؤكدان ضرورة احترام سيادة الدول، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، وكلاهما يُواجه تحدياً أميركياً في منطقته، وعلى العموم تستحوذ على الطبقة السياسية في البلدين فكرة الارتقاء بالعلاقة، وقد تصبح إستراتيجية، خاصة إذا ما استمرت واشنطن في سياساتها الراهنة تجاه البلدين، وتهدف بكون من خلال الصفقة تعزيز أمنها الطاقوي، وذلك عبر تنويع مصادر إمدادات الطاقة وطرق التزود بها.³⁰

لقد تطورات العلاقات بين الصين وروسيا في مختلف المجالات هذه العلاقات تعتبر الطاقة احد ركائزها الرئيسية وعلى الرغم من أن واردات الصين من مصادر روسيا تبقى في مستوى متوسط مقارنة بالمناطق الطاقوية الأخرى.³¹

مع زيادة الخلاف مع روسيا والدول الغربية المستهلك الأول لمصادر الطاقة جعل من روسيا قهراً بتنويع أسواقها نحو الصين وباقي الدول الآسيوية ، فمنذ عام 2001م بدأ حدوث تعاون بين الصين وروسيا في مجال الطاقة وفي سبتمبر 2006م وقعت الشركة الوطنية الصينية للنفط مع شركة يوكوس الروسية التي تعد ثاني أكبر شركات النفط في روسيا اتفاقاً لا إنشاء خط أنابيب لنقل النفط الروسي في سيبيريا إلى حقل داكينغ شمال شرق الصين يبلغ طوله 2400 كلم بتكلفة تقدر بـ2.5 مليار برميل من النفط بقيمة 15 مليار دولار وذلك خلال الفترة 2005م إلى 2030م.³²

أجرت روسيا عام 2003م مفاوضات مع شركة CNPC الصينية من جهة و مع شركة JNOC اليابانية على خط متوازي تمخضت المفاوضات عن:

-المقترح الياباني: إنشاء خط أنابيب من منطقة ANGARSK الروسية إلى منطقة NAKHODKA اليابانية مع قدرة على تأمين 50 مليون طن متري من احتمال التصدير إلى كل منطقة آسيا- الهادي بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية.

³⁰الموقع الإلكتروني مركز الجزيرة للدراسات studies.aljazeera.net/ar/reports/2014/06/2014622113922283238.html، تاريخ الاطلاع 2016/05/20م.

³¹خديجة عرفة، "الصين وأمن الطاقة"، مجلة السياسة الدولية، العدد 164، 2006م، ص 58.

³²نفس المرجع و نفس الصفحة.

-المقترح الصيني: إنشاء خط أنابيب يمتد من منطقة ANGRASK الروسية إلى منطقة DAQUING الصينية مع قدرة على تأمين 30 مليون طن متري مخصص للسوق الصينية.

-المقترح الروسي: و قدمته وزارة الطاقة الروسية بالإضافة إلى عدد من الخبراء و يقترح دمج الاقتراحين الصيني و الياباني في مشروع واحد و قد وافقت الصين على المقترح لكن اليابان رفضته.

على ما يبدو أن روسيا تحاول استثمار هذا التنافس الياباني الصيني لمصلحتها و هو الأمر الذي سيجعل منها في موقع المقرر الذي يمسك بخيوط اللعبة و يوجهها كما يريد لمصلحتها.³³

تحتل الصين المرتبة الثانية عالميا في استيراد النفط بعد الولايات المتحدة الأمريكية وبما أن ازدياد الطلب الصيني على النفط تقدر بـ 30% سنويا فإن الصين من المتوقع أن تتجاوز الولايات المتحدة في استيراد النفط هذه الحقيقة جعلت الصين تسعى لتأمين مصادر الطاقة والمحدد الرئيسي للسياسة الخارجية الصينية وبما أن الصين تأمل في تحقيق مستويات مرتفعة من النمو الاقتصادي في القرن الواحد والعشرون ستحتاج كميات ضخمة من مصادر الطاقة الخارجية لتحقيق إستراتيجيتها الاقتصادية اعتمدت الصين على الدبلوماسية للطاقة والتي من خلالها ربط علاقات متينة مع دول كانت لها علاقات محدودة في الماضي.³⁴

يبدو أن المكاسب التي تطمح إليها روسيا من وراء توطيد وتطوير علاقاتها مع الصين وباقي دول "شنغهاي للتعاون" و "بريكس" يتوجب عليها دفع أثمان لها، وهو ما يشير إليه أستاذ مساعد في قسم الاستشراق بمعهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية نيكولاي سوركوف بالقول "السياسة الخارجية الروسية الجديدة لها تكاليفها الباهظة، فجميع الحلفاء الحاليين لروسيا بدون استثناء يأملون - عبر موقف الحفاظ على العلاقات مع روسيا- تحقيق شروط مربحة لاستيراد مصادر الطاقة أو الأسلحة".³⁵

- العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية:

تتسم العلاقات الروسية - الأمريكية بالمواجهة الثنائية و بالخلاف في بعض الأحيان و بالصراع في أحيان أخرى مثل الصراع حول مصادر الطاقة وأسواقها خاصة في أوروبا.

بالنسبة للاستهلاك العالمي تحتل الولايات المتحدة الأمريكية المقدمة ثم تليها روسيا هاته الأخيرة تعتبر من أكبر الدول المصدرة للغاز الطبيعي للولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب كندا.

إذ أن الطبيعة الغازية لهذا المصدر تؤدي إلى بعض الضوابط و الشروط التي يجب أخذها في الحسبان عند نقلها من مكان إنتاجه إلى مكان استهلاكه وذلك إما عبر استخدام خطوط الأنابيب وإما عبر سفن خاصة.

تهدف أهم استراتيجيات الولايات المتحدة الأمريكية بعيدة المدى في أوروبا إلى عزل روسيا و تحييد أوكرانيا عن أوروبا الغربية و احتواء أوزباكستان و إبعاد آسيا الوسطى من ساحة النفوذ، و يفهم من هذه الإستراتيجية كذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية قد ركزت على منطقة أوراسيا باعتبارها منطقة حيوية و مصدرا مهما بالنسبة لانتقال السلع و المال لتقوية الاقتصاد الأمريكي .

الإستراتيجية الأمريكية في أوروبا تسعى إلى إضعافها و كذلك محاولة إحباط أية محاولة تقارب بين أوروبا و روسيا لكن هذا السعي فشل بسبب وجود تقارب و مصالح جيواستراتيجية بين فرنسا و ألمانيا خاصة رغم كل المحاولات بفرض عقوبات اقتصادية على روسيا من قبل الاتحاد الأوروبي على خلفية الأزمة الأوكرانية الأخيرة.

³³ وليد سليم عبد الحي، المكانة المستقبلية للصين 1987-2010، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى، 2000م، ص 166.

³⁴ مصطفى عبد الحافظ، "الصين ودبلوماسية الصحة في إفريقيا"، مجلة السياسة الدولية، عدد 163، 2006م، ص 141.

³⁵ الموقع الإلكتروني موقع الجزيرة <https://www.aljazeera.net/opinions>، تاريخ الاطلاع 2021/05/12.

من جانبها عيّنت الولايات المتحدة، بعيد انخيار الاتحاد السوفيتي سابقا سفيرا متخصصا و مهتما بشؤون طاقة دول بحر قزوين يعمل من المنطقة نفسها و ذلك من اجل تشجيع الاستثمارات البترولية في دول بحر قزوين.

هناك بعض المشاريع الأمريكية المهمة لنقل النفط من بحر قزوين من بينها المشروع الأمريكي-التركي المعروف بخط أنابيب باكو-جيهان، إلا أن بروز التنافس الأمريكي مع روسيا حيال هذه القضية الخاصة بنقل النفط من بحر قزوين قد دفع روسيا إلى التأكيد على ضرورة الاستمرار بدورها في عملية نقل النفط، والذي لا يخلو من عديد من الدوافع الجيوستراتيجية التي تسعى إلى تحقيقها من وراء سلوكها السياسي هذا الممثل بمشروعها لخط الأنابيب.³⁶

و تأتي الإستراتيجية الأمريكية في الدخول لمنطقة بحر قزوين من خلال دور الشركات النفطية الأمريكية و التي تتواجد أيضا في أذربيجان بقوة و بعقود تنقيب مهمة، تعتبر هذه الشركات إحدى الوسائل الاقتصادية للتغلغل في أقاليم أخرى لدوافع جيوبوليتيكية و جيوسراتيجية في المنطقة.

وبالفعل، فإن الشركات البترولية الدولية استطاعت تحقيق نجاح كبير في زيادة الإنتاج من منطقة بحر قزوين، لكن هذه الشركات وجدت صعوبة بالغة في تنفيذ العديد من خطوط الأنابيب، إما لأسباب جيوسياسية وإما لأسباب اقتصادية بحتة، وقد عارضت الولايات المتحدة تشييد أنابيب تصدير للنفط الخام أو الغاز الطبيعي من دول بحر قزوين عبر إيران أيضا، لتزويد الأسواق الآسيوية، و شجعت بدلا من ذلك مد الأنابيب شرقا ومباشرة عبر الأراضي الآسيوية إلى أسواق الصين والشرق الأقصى. بمعنى آخر دفعت الولايات المتحدة إلى تصدير نفط دول بحر قزوين وغازها عبر خطوط تمتد غربا (متفادية الأراضي الروسية) وشرقاً (متفادية الأراضي الإيرانية).³⁷

استمر الغاز الروسي في الحفاظ على مكانته الريادية في السوق الأوروبية، ولم تستطع الولايات المتحدة مزاحمته مزاحمة حقيقية و تقليص حصته من السوق و يرجع ذلك أساسا إلى طبيعة صناعة الغاز الطبيعي فهي تعتمد على عقود طويلة الأجل حوالي 25 سنة تقريبا ، و هو ما يصعب من إحلال بدائل أخرى بشكل سريع أو سهل.

كانت الولايات المتحدة إلى وقت قريب دولة مستوردة للغاز فلا يمكنها منافسة روسيا من ناحية تزويد السوق الأوروبية بالغاز، و الحقيقة أن هناك عائقا آخر مهم لنقل الغاز الأمريكي إلى أوروبا وهو التكلفة الباهظة لنقل الغاز من الولايات المتحدة الأمريكية إلى أوروبا لا من بعد ناحية بعد المسافة ولا من ناحية تكلفة تحويله و نقله بالشكل المسال عبر السفن البحرية إلى أوروبا .

2.4 العلاقة مع الدول المصدرة للنفط وأوبك و أوبك الغاز:

الدول المصدرة للبترول (بالإنجليزية: Organization of the Petroleum Exporting Countries) وتختصر: أوبك (بالإنجليزية: OPEC)، هي منظمة عالمية تضم اثنا عشرة دولة تعتمد على صادراتها النفطية اعتمادا كبيرا لتحقيق مدخولها، ويختصر اسمها إلى منظمة الأوبك ويعمل أعضاء الأوبك لزيادة العائدات من بيع النفط في السوق العالمية، تملك الدول الأعضاء في هذه المنظمة 40% من الناتج العالمي و 70% من الاحتياطي العالمي للنفط، تأسست في بغداد عام 1960م من طرف السعودية، إيران

³⁶ صالح مجيد ديارى، التنافس الدولي على مسارات أنابيب نقل النفط من بحر قزوين، ابو ضبي: مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية 2010، ص 57.

³⁷ تقرير وليد خوري، التنافس الأمريكي- الروسي في مجال الطاقة، الموقع الالكتروني لمركز الإمارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية 2012/10/22 https://www.ecssr.ae/reports_analysis 2021/05/24

العراق، الكويت وفتزويلا و مقرها في فيينا .يوجد للمنظمة الآن اثني عشرة دولة هي :الجزائر ،أنغولا،الاكوادور ،ايران،العراق،الكويت، ليبيا،نيجيريا،قطر،السعودية الإمارات العربية المتحدة،فتزويلا، أما الأعضاء السابقون :الغابون،اندونيسيا. بدأت الأوبك بخمس بلدان مؤسسة و هي الكويت و السعودية و العراق و إيران و فتزويلا ، لكن منذ ذلك الحين تم إضافة 9 دول أخرى³⁸.

اختارت منظمة جديدة للدول المصدرة للغاز المعروفة باسم «أوبك الغاز» روسيا كأول أمين عام لها، مما يؤكد الدور المرجح أن تقوم به روسيا في هذه المجموعة التي ساهمت في تأسيسها .

فقد تم انتخاب ليونيد بوخانوفسكي، وهو نائب رئيس في شركة «سترويترانسغاز»، وهي شركة متخصصة في مد الأنابيب، ذات علاقات وثيقة، في اجتماع لوزراء الطاقة في 11 دولة، عقد في العاصمة القطرية الدوحة، حيث يوجد مقر الجماعة المعروفة باسم «منتدى الدول المصدرة للغاز».

وقد استغلت الدول الأعضاء الاجتماع لدراسة الفائض الحالي في الغاز على مستوى العالم، حسبما ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز»، وأعلنت أنها ستركز على تنسيق سياسات الاستثمار لإقناع الدول بعدم إغراق السوق بمزيد من الغاز.

والدول الأعضاء في التجمع الجديد هي الجزائر وبوليفيا ومصر وغينيا الاستوائية وإيران وليبيا وقطر ونيجيريا وروسيا وترينداد وتوباغو وفتزويلا بالإضافة إلى كازاخستان والنرويج بصفة مراقب.

و كانت الدول المشاركة في الاجتماع تلتقي بطريقة غير رسمية منذ عام 2001م، وتبنت ميثاقا رسميا في موسكو قبل عام³⁹. روسيا والأوبك قطبان مهمان في إنتاج الطاقة وبالتالي هناك أهمية كبيرة للتنسيق و الحوار فيما بينهما من اجل خدمة مصالح الطرفين ، و منه وجود هكذا حوار وتنظيم عملية الإنتاج وخفض الإنتاج بمستويات معقولة، هذا يعطي مؤشرا جيدا، سينعكس إيجابا بالتأكيد، على أسعار النفط.

شهدت السنوات الأخيرة محاولات عديدة من اجل إقامة شكل من التشاور و التنسيق بين الدول الأعضاء في منظمة أوبك و روسيا من اجل ضبط أوضاع السوق و محاولة إنعاشه .

و طالبت أوبك روسيا أن تكبح وتيرة إنتاجها النفطي، وإلا تعثرت خطط المنظمة لتنظيم سوق النفط، كما دعت روسيا عدة مرات للانضمام لمنظمة أوبك، لكنها رفضت ذلك، بأعذار وهمية بداية بتوقيع مذكرة تعاون، وتعيين ممثل دائم لها لدى المنظمة، علما بأنها تحضر كافة اجتماعات أوبك بهذه الصفة.

هناك بعد تنافسي بين دول الخليج العربي المصدرة للنفط و الغاز و روسيا يلامس هذا جوهر المكانة والموقع الاستراتيجي لدول المنطقة.

فالعلاقة بين الطرفين تبقى في سوق الطاقة الدولية ذات طبيعة صفرية، أي أن الزيادة في مكانة أي طرف تعني بالضرورة انخفاضاً في مكانة الطرف الآخر.

³⁸ الموسوعة الالكترونية وكببديا أوبك/ <https://ar.wikipedia.org/wiki/أوبك>، تاريخ الاطلاع 2021/05/09م.

³⁹ الموقع الالكتروني جريدة الشرق الاوسط ،عنوان التقرير منظمة جديدة للدول المصدرة للغاز الطبيعي، الجمعة 23 ذو الحجة 1430 هـ 11 ديسمبر 2009 العدد 11336.

https://archive.aawsat.com/details.asp?section=6&article=548028&issueno=11336#.YLf11tQS_YM، تاريخ الاطلاع 2021/05/12.

والفرق بين الجانبين الخليجي والروسي هو أن المنتجين الرئيسيين في الخليج منضوون في إطار تكتل أوسع هو منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) الملتزمة بآلية خاصة للتعامل مع السوق، في حين تعتبر روسيا طليقة الحركة.

ووفقا للمؤشرات فان الشرق الأوسط يستحوذ على 69% من احتياطات النفط و يسهم بـ 31% من الإنتاج العالمي و50% من الصادرات و توقع تقرير صادر عن شركة ريبورت كونسالتانت أن يسجل سوق النفط والغاز في الشرق الأوسط نموا ملحوظا خلال الفترة بين عامي 2020 و 2025م بمعدل سنوي مركب نسبته 6%⁴⁰.

و تحركت روسيا مؤخرا لمنافسة الجزائر في الدول الأوروبية المطلة على البحر الأبيض المتوسط ، على مستوى طاقة الغاز الطبيعي ، خاصة أنها قطعت أشواطاً طويلة في مراهنتها على منافسة و مواجهة النفط الخليجي في عموم أوروبا وآسيا، و دخلت في سبيل تحقيق هذا الهدف في مشاريع مشتركة مع دول مختلفة.

فهناك إذا تنافس خفي بين كل من روسيا و بعض الدول المنتجة كالجزائر و خاصة في السوق الأوروبية كما اشرنا آنفا على الرغم من أن قطر ليست سوى جزء صغيرا يمثل مجرد واحد في المائة من حجم روسيا، إلا أن احتياطياتها تبلغ أكثر من نصف احتياطات روسيا، مما يضعها في المرتبة الثانية للدول المصدرة للغاز في العالم بعد روسيا نفسها .

فقطر تدرك أنه لا يمكنها تجاوز روسيا كأكبر بائع للغاز الطبيعي المسال في أوروبا، و لا يبدو أن هناك طموحا كبيرا لقطر في هذا الاتجاه.

فأسعار روسيا من بيع الغاز الطبيعي للأوروبيين اقل من أسعار القطريين بحوالي النصف تقريبا و ذلك نظرا لحصة روسيا الضخمة في السوق الأوروبية ، علما أن اغلب صادرات قطر من الغاز الطبيعي موجهة إلى الاستهلاك في كل من الصين، والهند، واليابان، وسنغافورة، وكوريا الجنوبية مما يجعل الاقتصاد القطري حاليا أقل اعتمادا على الصادرات نحو الاتحاد الأوروبي .

5. خاتمة:

شهدت السياسة الخارجية الروسية منذ وصول فلاديمير بوتين إلى الحكم عام 2000م، انتعاشا كبيرا و سياسة توسعية هجومية في مختلف مناطق العالم خاصة مناطق نفوذها التقليدية في آسيا و الشرق الأوسط مثل سوريا و عودة إلى الواجهة في بعض مناطق إفريقيا كليبيا.

من المتعارف عليه أن السياسة الخارجية لأي دولة تحكمها عدة محددات داخلية وخارجية لذلك نجد أن السياسة الخارجية الروسية بعد 2000م ارتكزت على عاملين أساسيين التطورات الميدانية الحاصلة إقليميا في الشرق الأوسط و منطقة المغرب العربي تحديدا في ليبيا و أهمية متغير الطاقة كمحدد قوي و مؤثر في توجهات السياسة الخارجية الروسية.

تعتمد روسيا في إعداد ميزانيتها العامة بشكل كبير على عائدات الطاقة من غاز و نفط من اجل تمويل مختلف قطاعاتها الحيوية و التي تبقى رهينة هذا المورد الطبيعي ، و بالتالي فان صياغة مختلف توجهات السياسة الخارجية الروسية مرتبط بشكل أو بآخر بهذا الريع والذي يتأثر بدوره بمختلف مظاهر عدم الاستقرار في المناطق المنتجة أو التي ينقل و يكرر من خلالها النفط، فهناك إذا ارتباطا وثيقا و متبادل بين الطاقة و السياسة الخارجية.

⁴⁰ جريدة الانباء الكويتية تقرير للكاتب محمود عيسى ، الشرق الأوسط يستحوذ على 69% من احتياطات النفط ، بتاريخ 2020/01/17 تاريخ الاطلاع 2021/05/03، الموقع الالكتروني <https://www.alanba.com.kw/ar/economy-news/946305/17-01-2020>

قائمة المراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية:

- الكتب

- 1- نوري النعيمي، السياسة الخارجية، الأردن: دار زهران للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 2011م
- 2- أحمد مدحت إسلام، الطاقة و مصادرها المختلفة، القاهرة: الطبعة الثانية، مؤسسة الأهرام، 1997.
- 3- محمد ختاوي، النفط و تأثيره في العلاقات الدولية، بيروت: دار النفائس، 2010م.
- 4- لمى مضر الأمارة، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، بيروت: مركز الوحدة العربية، 2009م.
- 5- أمجد جهاد عبد الله، التحولات الاستراتيجية في العلاقات الامريكية-الروسية، بيروت: دار المنهل اللبناني، 2011.
- 6- بافل باييف، القوة العسكرية وسياسة الطاقة: بوتين والبحث عن العظمة الروسية، ابوظبي: مركز الإمارات للدراسات و البحوث والاستراتيجية، 2010م.
- 7- هنري كيسنجر، هل تحتاج امريكا الى سياسة خارجية ؟: نحو دبلوماسية للقرن الحادي و العشرين (ترجمة: عمرا الايوبي)، بيروت: دار الكتاب العربي، 2003.
- 8- وليد سليم عبد الحي، المكانة المستقبلية للصين 1987-2010، ابوظبي: مركز الإمارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، الطبعة الاولى، 2000م.
- 9- صالح مجيد ديارى، التنافس الدولي على مسارات أنابيب نقل النفط من بحر قزوين، ابوظبي: مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، 2010م.

المجلات

- 1- جيفري مانكوف، "أمن الطاقة الاوراسية"، دراسات عالمية، العدد 89، 2010م.
- 2- نورهان الشيخ، "سياسة الطاقة الروسية و تأثيرها على التوازن الاستراتيجي العالمي"، قضايا، العدد 56، اوت 2009م.
- 3- أسامة مخيمر، "الطاقة والعلاقات الروسية مع آسيا"، مجلة السياسة الدولية، العدد 170، 2007م.
- 4- خديجة عرفة محمد، "أمن الطاقة و وطنية الطاقة... بين المقاربتين الروسية والامريكية"، آراء، العدد 47، 2008م.
- 5- زهير حامدي، "عرض كتاب الطاقة وقوتها في السياسة الخارجية الروسية: الآثار المحتملة للصراع والتعاون"، سياسات عربية، العدد 03، جويلية 2013م.
- 6- خديجة عرفة محمد، "أمن الطاقة و وطنية الطاقة... بين المقاربتين الروسية والامريكية"، آراء، العدد 47، 2008م.
- 7- خديجة عرفة، "الصين وأمن الطاقة"، مجلة السياسة الدولية، العدد 164، 2006م.
- 8- مصطفى عبد الحافظ، "الصين ودبلوماسية الصحة في افريقيا"، مجلة السياسة الدولية، عدد 163، 2006م.

التقارير:

عبد الجليل زيد المرهون، "الغاز الطبيعي باعتباره سلعة إستراتيجية"، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2011م.

ثانيا: المراجع باللغة الاجنبية:

Livres :

- 1- Christopher Hill, **The Changing Politics of Foreign Policy**, London: Palgrave Macmillan, 2003
- 2- G.Evans, G.Newnhan, **The Penguin Dictionary of International Relations**, London: Penguin Books, 1998

3- Olga Oliker and Other, **Russian foreign policy: sources and implications**, New York :RND corporation, 2009.

4- Andreas Wenger, Jeronim Perovic , and others, **Russian Business Power: The Role of Russian Business in Foreign and Security Relations**, New York :Routledge, 2006.

PERIODIQUES :

«Service international: la ruée vers l'or noir», **le monde**, N°347, Novembre 2005.

Rapports :

BP, **Statistical Review of World Energy 2019**, June 2019.

BP, **Statistical Review of World Energy 2020**, June 2020

4-THESES:

1-Bali Alicia et autres, **La Situation Economique De La Russie: Pourquoi La Russie a Telle Echoue La ou La Chine a Russie**, Mémoire d'INTELLIGENCE ECONOMIQUE, avril 2013.
http://bdc.aege.fr/public/La_situation_economique_de_la_Russie.pdf

ثالثا: المواقع الالكترونية:

- 1- تقرير ملف النفط و الغاز لعام 2019 بتاريخ 2019/01/26 الموقع الالكتروني
<https://arabic.sputniknews.com/russia/201901261038548182>
، تاريخ الاطلاع 2021/04/14
- 2- الموقع الالكتروني للمركز العربي للدراسات و البحوث <http://www.acrseg.org> ، تاريخ الاطلاع 2021/05/05.
- 3- الموقع الالكتروني (جريدة اليوم السعودية) <http://www.alyaum.com/article/4128321>، تاريخ الاطلاع 2021/05/06م.
- 4- الموقع الالكتروني وكالة الانباء العالمية رويترز <https://www.reuters.com/article/oegbs-europe-Reuters>
<https://www.reuters.com/article/oegbs-europe-Reuters> gas-mn-idARACAE9B2MSA20130528، تاريخ الاطلاع 2021/05/03م.
- 5- الموقع الالكتروني مركز الجزيرة للدراسات
studies.aljazeera.net/ar/reports/2014/06/2014622113922283238.html، تاريخ الاطلاع
2016/05/20م.
- 6- الموقع الالكتروني موقع الجزيرة <https://www.aljazeera.net/opinions>، تاريخ الاطلاع 2021/05/12
- 7- تقرير وليد خوري، التنافس الأمريكي- الروسي في مجال الطاقة، الموقع الالكتروني للمركز الإمارات للدراسات و البحوث
الاستراتيجية 2012/10/22 https://www.ecssr.ae/reports_analysis التنافس- الأمريكي- الروسي- في- مجال- الطاق
، تاريخ التصفح 2021/05/24
- 8- الموسوعة الالكترونية و كيبديا أوبك <https://ar.wikipedia.org/wiki/>، تاريخ الاطلاع 2021/05/09م.
- 9- الموقع الالكتروني جريدة الشرق الاوسط، عنوان التقرير منظمة جديدة للدول المصدرة للغاز الطبيعي، الجمعة 23 ذو الحجة 1430
هـ 11 ديسمبر 2009 العدد 11336
<https://archive.aawsat.com/details.asp?section=6&article=548028&issueno=11336#.YLf11>
tQS_YM، تاريخ التصفح 2021/05/12.
- 10- جريدة الانباء الكويتية تقرير للكاتب محمود عيسى ، الشرق الأوسط يستحوذ على 69% من احتياطات النفط، بتاريخ
2020/01/17 تاريخ الاطلاع 2021/05/16، الموقع الالكتروني [https://www.alanba.com.kw/ar/economy-](https://www.alanba.com.kw/ar/economy-news/946305/17-01-2020)
news/946305/17-01-2020